

41

2015

الاصدار الثاني
2020

الكتاب العربي للعلوم النفسية

اصدارات محكمة في علوم النفس

نحو مدرسة عربية في علم النفس

سلسلة الاصدارات المكتبية المحكمة لـ "شمن:

الاصدار الواحد و الاربعون



العلم المعرفية لدى الطفل

من التمييز والتشخيص الى التطوير والتعديل

الدكتور أحمد رشكو

عدد 41 - 2015



إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

الكتاب الإلكتروني لمن الطفل

من التكوين والتشخيص إلى التطوير والتنمية

الفالي كرتتولو

الفهرس

5	تقديم
11	الفصل الأول: مفهوم الكفاءات ومقوماتها
19	الفصل الثاني: تقييم الكفاءات وتشخيصها
51	الفصل الثالث: تربية الكفاءات وعلاجهما
81	الفصل الرابع: المقاربة البنائية للكفاءات
93	الفصل الخامس: المقاربة الفطرية للكفاءات
114	الفصل السادس: المقاربة الإيكولوجية للكفاءات
126	الفصل السابع: المقاربة الداروينية الجديدة للكفاءات
157	الفصل الثامن: المقاربة الدينامية للكفاءات
169	الفصل التاسع: المقاربة العصبية البيولوجية للكفاءات
183	المراجع

إهداء

إلى

حفيدتي ملاك

وكل أطفال العالم، الأصدقاء وغير الأصدقاء

إلى زوجتي الفاضلة التي تحملت وزر تنمية كفاءات أبنائي

البررة منذ مجيئهم رضعاً مسالمين إلى الحياة حتى مغادرتهم أسوار المدارس والمعاهد والجامعات شباباً
متعلماً تتماشى كفاءاتهم مع مستجدات سوق العمل ومستلزمات المصن الجديدة

أهدي

هذا المولود العلمي الجديد

تقديم

نسعى في هذا الكتاب إلى تدعيم فكرة قابلية الكفاءات المعرفية للتقويم والتشخيص والتربية والعلاج، وبالتالي التأكيد على أن مهمة السيكولوجيا المعاصرة أصبحت تتجسد في إيجاد حلول فعلية لمشاكل الاكتساب و التعلم والتكيف والتأهيل والاندماج التي تحفل بها الحياة اليومية. فمسلمة مطواعية قدرات الطفل المعرفية وقابليتها للتقويم والتربية عبر التدخل والمساعدة أضحت من الأمور المؤكدة حالياً. وما البرامج والنماذج المتعددة المتوفرة حتى الآن بهذا الخصوص إلا دليل واضح على ذلك. فلا يكفي أن يتمتع الطفل بكفاءات معرفية وقدرات ذهنية عالية لكي ينجح في تحقيق مختلف المهام والاكتسابات بسهولة ونجاعة، بل المفروض أن ينجح أيضاً في التوظيف الجيد لتلك الكفاءات في شتى مجالات الحياة. وهنا تكمن أهمية وفعالية طرق التشخيص المعرفي وبرامج التربية المعرفية وخاصة على مستوى تقويم كفاءات الطفل المعرفية وتطويرها عبر تحسيسه بفعالية تعلم الاستراتيجيات اللازمة لتحسين تعلماته وإغناء أدائه، وتوعيته بأن سبب كل فشل محتمل لا يرتبط بالنقص في الكفاءة بل بالعجز في الاشتغال المعرفي أو الإحساس بالعجز المكتسب.

ما المقصود إذن بالكفاءات المعرفية وبالخصوص المبكرة منها؟ ما هي إجراءات تقويمها وأساليب تشخيصها؟ وإلى أي حد يصح القول بإمكانية تربيتها وتطويرها؟ ثم ماهي أهم مقارباتها السيكولوجية ونماذجها النظرية؟ أكيد أن العمل في هذا المؤلف على إيجاد أجوبة مقنعة لأسئلة محورية من هذا القبيل سيشكل بدون شك مساهمة علمية ذات نتائج جد إيجابية، وخاصة بالنسبة للباحثين العرب

مهمة السيكولوجيا
المعاصرة أصبحت
تتجسد في إيجاد
حلول فعلية لمشاكل
الاكتساب و التعلم
والتكيف والتأهيل
والاندماج التي تحفل
بها الحياة اليومية

المهتمين بظواهر سيكولوجية وتربوية مثل: تربية الذكاء وتعليم التعلم وتدريب قواعد التفكير وتعيين سيرورات الاكتساب وتحديد أساليب التكيف، وذلك لاعتبارات عديدة نجمال أهمها في الآتي (أحرشواو، 2004):

-كثيرة هي القضايا والإشكاليات التي أصبحت تُطرح وتُناقش بخصوص مشكل قياس الكفاءات وتربيتها والتي يتوجب علينا نحن المشتغلين العرب بعلم النفس والتربية أن نهتم بها ونأخذها مأخذ الجد. فالمسألة وإن كانت في مقامها الأول نظرية فإن أبعادها التطبيقية أضحت من الأمور المؤكدة. فبتعا للأفق المستقبلي لمسار البحث في هذه المسألة، يلاحظ أن سيكولوجية الاختبارات والقياس بشكل عام ستتعرض لتغيرات عميقة وذلك بفعل زيادة الطلب الاجتماعي وارتفاعه في مجال تنمية الكفاءات والتتصيص على أهمية تربيتها وتطويرها. وهذا أمر سنوضحه بكامل التفصيل في الفصول الثلاثة الأولى لهذا الكتاب، حيث سنتخذ من اختبار le Passalong المثال النموذجي على التجديد المنهجي والتقني وخاصة النظري الذي أدخلته المقاربة المعرفية على سيكولوجية الاختبارات. وهي المقاربة التي نرى ضرورة اعتمادها في إغناء كثير من الاختبارات السيكولوجية إن على مستوى تجديد شبكاتها التفسيرية أو على مستوى تعديل مضامين بنودها وأساليب إجرائها.

-بالنظر إلى أهميته في الميادين التكوينية والمهنية التي تراهن على سرعة تنمية المعارف ونجاعة تطوير المهارات، أصبح التشخيص المعرفي le diagnostic cognitif، وبغض النظر عن ثنائية المقاربات أو تنوعها، يشغل مكانة مرموقة في مجال تقويم قدرات التعلم وتطوير الكفاءات. فإذا كانت إحدى غاياته الأساسية تكمن في تجاوز الرصد البسيط لفروق الأداء بين الأفراد وبالتالي تعيين السيرورات المعرفية الضمنية ومظاهر الاختلال في اشتغالاتها الفعلية، فإن بعض الخاصيات السيكولوجية الجوهرية، وفي مقدمتها خاصية الذكاء، يجب أن تخضع للتربية وأن تشكل موضوعا للتعليم التعويضي. وكما سنوضح ذلك بالخصوص في الفصل الثالث، توجد حتى الآن برامج عديدة تسعى إلى تدعيم وتطوير مثل هذه التربية المعرفية وفي مقدمتها: برنامج الإغناء الأدوات وورشات التفكير المنطقيثم التعليم الإجرائي.

لا يكفي أن يتمتع
الطفل بكفاءات
معرفية وقدرات
ذهنية عالية لكي
ينجح في تحقيق
مختلف المهام
والاختصاصات بسهولة
ونجاعة، بل المفروض
أن ينجح أيضا في
التوظيف الجيد لتلك
الكفاءات في شتى
مجالات الحياة

سبب كل فشل محتمل
لا يرتبط بالنقص في
الكفاءة بل بالعجز في
الاشتغال المعرفي أو
الإحساس بالعجز
المكتسب

-تشكل التربية المعرفية المحاولة الأكثر أهمية في مجال التجديد البيداغوجي للسنوات الأخيرة، بحيث أصبح الاهتمام ينصب على تطوير الاشتغال الذهني للأشخاص والرفع من قدرتهم على التعلم واحتمالات التكيف عبر توظيف طرق جديدة للتكوين. وهكذا لم يعد المُكوّن يهتم بتاتا بتدريس المضامين والمعارف الخاصة بتخصصات معينة بل أضحى يركز في هذا التدريس على قواعد عامة وإجراءات فكرية وسيرورات لاكتساب المعارف وتوظيفها. كما لم يعد المتعلم يهتم سوى بأن يتعلم كيف يتعلم. وإذا كان الإقبال الكبير على برامج ومناهج هذه التربية يوضح مدى أهميتها ونجاحتها وخاصة بالنسبة لمساهمتها في تجاوز كثير من مشاكل وصعوبات التكوين والتأهيل، فإننا لا نستبعد إمكانية قيامها عندنا في المغرب والعالم العربي عامة بدور فعال، وبصورة أساسية في مجال تسيير منظوماتنا التربوية أكثر قدرة على تجاوز أسباب تعثرها ومظاهر تأزمها.

فضلا عن الاعتبار السالفة الذكر نشير إلى أن الهدف الرئيسي لهذا المؤلف يتلخص في محاولة إبراز خاصيات اشتغال أنظمة المعارف القابلة للمعاينة عند الطفل. فضلا عن كونه يستحضر نتائج وخلصات أهم الأبحاث التي أنجزت خصيصا حول كفاءات الطفل حديث الولادة، فهو يتشبع بمقومات المقاربة النمائية ويتسلح بضوابط البحث المطاطحلي. فكما نعلم إن غاية علم نفس النمو الأساسية، كتخصص يسعى دوما إلى دراسة تطور سيرورات اكتساب المعارف، تتحدد في تخصيص هذه السيرورات ذاتها خلال حالة النمو البدائية، بحيث لا يجب اعتبارها كحالة صفرية للنمو ينطلق منها ليأخذ شكله ولا شيء يوجد سواها. فالحالة البدائية التي نحيل عليها تعني الفترة الزمنية القصيرة التي تطبع التحول فيما بين حالتين اثنتين: نهاية الحياة داخل الرحم *intra-utérine* وبداية الحياة الهوائية *la vie aérienne* الجديدة للرضيع الذي سيعرف نموه تطورات إدراكية وحركية ومعرفية أكيدة، بحيثسيتمثل هذه اللحظة الانتقالية المطبوعة بسلسلة من التحولات الحسية والحركية والذاكرية المطردة وبمجموعة من الكفاءات المبكرة المتنوعة (Lecanuet et al، 1993). الواقع أنه بالنظر إلى هذه الحالة البدائية يُطرح السؤال الصعب حول الانتقال من التنظيم البيولوجي إلى التنظيم

أن سيكولوجية
الاختبارات والقياس
بشكل عام ستتعرض
لتغيرات عميقة
وذلك بفعل زيادة
الطلب الاجتماعي
وارتفاعه في مجال
تنمية الكفاءات
والتنقيص على
أهمية تربيتها
وتطويرها

أصبح التشخيص
المعرفي *le*
diagnostic
cognitif
وبعض النظر عن
ثنائية المقاربات أو
تنوعها، يشغل مكانة
مرموقة في مجال
تقويم قدرات التعلم
وتطوير الكفاءات

السيكولوجي الصرف. وعليه فالكتاب يحاول اقتراح حل نظري بديل عن الحلول التي سبقته لتوضيح هذا الانتقال. إن غنى علم نفس النمو يتظاهر في تنوع المقاربات النظرية التي يقترحها لبيان الحالة البدائية وذلك باعتماد فرضيتين اثنتين: الأولى تسلّم بأن الطفل يشكل منذ الولادة كائناً له القدرة على المعرفة مهما كان تناقض تلك المقاربات وخاصة على مستوى البناء المعرفي لتلك المعرفة. والثانية تُقرُّ بأن مختلف تلك المقاربات مستلهمة بشكل واسع من المصادر الداروينية للنمو الذي يشكل حصيلة للتطور والارتقاء. فالمشكل يكمن إذن في تحديد الطبيعة المتنوعة لهذا الإرث الذي يؤدي إلى التعامل مع الطفل حديث الولادة بصيغ متعددة من قبيل: الطفل التكويني، الطفل الفطري، الطفل الإيكولوجي، الطفل الدارويني... إلخ. سنعمل في الفصول الستة الأخيرة للكتاب على عرض تصورات كل واحدة من هذه المقاربات وذلك ببيان أهميتها وحدودها. فالأطفال الحديثي الولادة ينظر إليهم في الأصل ككائنات تراث ميكانيزمات تكيفية بيولوجية على أساسها تتبني المعارف. فهذه المقاربة المسماة بالبنائية Constructiviste والتي يدافع عنها بياجى Piaget بالأساس قد واجهت صعوبتين: الأولى من نوع نظريقوامها أن النظام البياجيسي وبفعل تعقده لا يمكنه أن يعمل إلا بالجوء إلى مفهوم الصدفة. الثانية من نوع أمبريقي مفادها أن نظرية بياجى قد أبانت عن قصوراتها أمام المعطيات السلوكية التي تقول، وعلى عكس ما تقترضه هذه الأخيرة، بوجود معارف جد واعدة لدى الرضيع. فالنتيجة إذن هي أن الطفل الحديث الولادة أصبح ينعى بالمولود الفطري الذي لا يرث الميكانيزمات فحسب بل المعارف الأساسية التي راكمها العصور لعل مشاكل التكيف والاندماج على الأسلاف على امتداد العصور لحل مشاكل التكيف والاندماج

على الفصل بين سجل الأنشطة الحسية-الحركية وسجل المعرفة Cognition

لم يعد المتعلم يهتم
سوى بأن يتعلم
كيف يتعلم

أن الطفل الحديث
الولادة أصبح ينعى
بالمولود الفطري
الذي لا يرث
الميكانيزمات فحسب
بل المعارف الأساسية
التي راكمها
الأسلاف على امتداد
العصور لعل مشاكل
التكيف والاندماج

الذي لم يتم إثباته أمبريقيا حتى اليوم، فإن الحل الأخير الذي تم اقتراحه بهذا الخصوص ينص على أن الثرات الدارويني يتواجد بدون شك بين البنائية البياجيسية والحمية الفطرية. فالطفل الدارويني قد عرف هو الآخر طريقه إلى الوجود ليشكل حصيلة تفاعلات بين العوامل البيئية والعوامل البيولوجية وبالتالي توجيه نمو الكفاءات المعرفية عند درجات متنوعة. فالنمو ينطوي إذن على بناء دائم ومتجدد لتمثلات تحكمها في الأصل ميكانيزمات فطرية. غير أن الفرضيات المعتمدة في هذا الاتجاه تتمحور كلها حول نفس الإشكال المتمثل في: ما هي طبيعة الإكراهات الفطرية التي توجه بالضرورة النمو التكويني المصاحب Epigénétique. الحقيقة أن مجمل الحلول النظرية المرتقبة لبيان الحالة البدائية تصطدم بالتفسير الصعب المتمثل في الانتقال من البيولوجي إلى السيكلوجي.

في الوقت الحالي، تقدم نظرية انتقاء المجموعات العصبية Théorie de la sélection des groupes neuronaux (TSGN) التي اقترحها إديلمان Edelman أحد الحلول الأكثر فعالية لبيان هذا الانتقال من البيولوجي إلى السيكلوجي. فهذه النظرية التي تدافع عن مقارنة إبييتكوينية احتمالية تتمحور حول ثلاثة مفاهيم أساسية هي التي تنبني عليها السلوكات المعرفية المفترضة لتأخذ شكلها وهي: القابلية للتغير والإطناب ثم الانتقاء. والحقيقة أن تطبيق هذه المفاهيم على السلوكات المولدية الحديثة يشي بمجيء مولود -جديد إبييتكويني، بحيث أن خاصياته المعرفية تعي وتعقل الخاصيات البيولوجية التنظيمية.

لقد حاولنا من خلال الفصول التسعة المكونة لهذا الكتاب معالجة إشكالية الكفاءات المعرفية باعتماد مقارنة سيكومعرفية تجمع بين البعدين القياسي التقويمي والنمائي التطوري، قوامها التناول بالعرض والتحليل والنقاش مجموعة من الأفكار والقضايا التي تتفتح عليها هذه الإشكالية وفي مقدمتها: مفهوم الكفاءة ومقوماتها، تقويم الكفاءات وتشخيصها، تربية الكفاءات وعلاجها، بنائية الكفاءات المبكرة وفطريتها وإيكولوجيتها وداروينيتها الجديدة ثم ديناميتها. ونعتقد أن القارئ العربي وبالخصوص المهتم بالنمو السيكلوجي وبالفعلا لتربوي في

ذهب علم نفس النمو إلى بلورة حل آخر تواجهه أنه إذا كانت المعارف غير متضمنة أصلا هي الذات فهي بالرغم من ذلك تتواجد موضوعيا هي الطبيعة

أن الثرات الدارويني يتواجد بدون شك بين البنائية البياجيسية والحمية الفطرية

علاقته بسيرورات التعلم والاكتساب، سيجد في هذا الكتاب سجلا هائلا من المعارف والمعطيات والحقائق التي تستجيب لبعض مطامحه وتطلعاته وتجيب بشكل من الأشكال على بعض التساؤلات والاستفسارات التي لطالما راودته واستشكل عليه أمر إيجاد حلول لها وأجوبة مقنعة عنها.

والله ولي التوفيق
الغالي أحرشاهو
فاس، يناير 2015

الكتاب الإلكتروني لشبكة العلوم النفسية العربية: العدد 41



إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2015

